

## مختارات من قصص الغوص

مع كتاب ثمالة الغوص قصص، للمؤلف/ صلاح بن هندي، الطبعة الأولى 1446هـ / 2024 م.

جزء من المقدمة:

هُوَ الْبَحْرُ غُصٌّ فِيهِ إِذَا كَانَ رَاكِدًا.. عَلَى الدُّرِّ وَاحِدًا رَوْهُ إِذَا كَانَ مَزِيدًا.

لقد فتن الإنسان بالبحر، فالشعوب التي تسكن قريبا منه، هي شعوب تقدّسه وتهايه، تحبه وتكرهه!! لكن الإنسان بطبعه يحب البحر والاقتراب منه. وقد كُتِبَتْ فيه الأشعار ورسمه الفنانون على لوحاتهم الفنية، ورسموا السفن الشراعية وهي تمخر عبايه، وربما رسموها وهي تغرق في أعماقه.

1/ خلاف فوق اليوم:

حين شقت السفينة عباب البحر، كان بعض البحارة قلقين من أن نوحدة مركبهم هو النوحدة (النهم). فقد كان مالك السفينة الحاج (سالم بن دهام) قد اختاره نوحدة لمركبه الذي يسمى (صديق الأمواج)، سماه بهذا الاسم تفاؤلا بنجاته وعودته سالمًا من أهوال البحر. وكان سبب اختيار بن دهام لهذا النوحدة أنه كان صديقا له أيام الصبا.

لكن البحارة لم يكونوا محبين لنوختهم هذا، علما أن (المجدمي) قد أخبرهم بأنه سيكون نوحدة لمركبهم. لقد لقب البحارة هذا النوحدة بالنهم؛ لأنه كان كبير البطن، عظيم الجثة لا يشبع أبدا. والنهم هو الحوت في عرف أهل البحر. كان المتعارف عليه بين البحارة أنهم يتناولون، على ظهر السفينة، وجبة واحدة هي العشاء، ثم ينامون كي يستيقظوا مبكرين؛ لأداء صلاة الفجر ثم يبدؤون أعمال الغوص؛ بحثا عن اللؤلؤ. لكن هذا النوحدة دائما ما يأمر بصنع طعام له، حين يشعر بالجوع ينهش بطنه. فهو يأكل أربع وجبات في اليوم!!.

وكان يتعب الطباخ بأوامره وطلباته. وذات يوم نفذ الحطب الذي في السفينة؛ لكثرة ما طهي من الطعام.

فما كان من النوخة إلا أن أمر (القلاب) أن يقطع الجزء الأعلى من ميل التفر، كي يصنع الطباخ له طعاماً!! فاحتج المجدمي والبحارة عليه، وقالوا: هذا ليس برأي حصيف، لكنه أرغمهم على ذلك ففعلوا ما أمرهم به على مضض. وفي اليوم التالي أمرهم أن يخلعوا لوحاً من أحد أجزاء المركب. فغضب البحارة وكادوا يفتكون به، لكن الطباخ صرخ فيهم: لا تشيلون هم، راح أتصرف.

التفت إلى جهة النوخة وقال له: أبشر يا طويل العمر، شوي ويجهز الأكل. ابتسم النوخة الشره وقال للطباخ: كفو، وأبشر بالخير.

فما كان من الطباخ إلا أن أحرق صندوق البشتخة الخاص به، وصنع الطعام للنوخة النهم. لأمه البحارة على فعلته هذه، ووصفوه بالمجنون. فكيف يفرط في صندوقه من أجل هذا النوخة الأكل؟ كان بعض البحارة يلقيه بالموقد؛ لأنه مثل نار الموقد التي لا يشبعها الحطب الذي يلقي في جوفها.

تناول النوخة طعامه ثم خلد إلى النوم. والبحارة في هرج ومرج. (يتحلمون) لا حول لهم ولا قوة، وفجأة، سمعوا النوخة يصرخ ويستنجد، وحين فزعوا إليه، وجدوه ممسكاً ببطنه يتلوى، ثم تمدد على (فئة التفر) يسب ويشتم.

حاول البحارة رفعه لكنهم عجزوا في بداية الأمر. تجمع عليه السيوب كلهم فأوقفوه على رجليه، لكنه ظل يصيح من بطنه، ثم سقط سقطة عنيفة. حركوه فإذا هو ميت!!.

نظر البحارة إلى بعضهم البعض وجميعهم على وجهه ملامح الدهشة والحيرة. وبعد أن تأكدوا من موته، غسلوه وكفنوه ثم رموه في البحر؛ لتلتهمه الأسماك والحيتان.

2 / غمة مظلوم:

حين تراكمت ديون الغوص على (بويوسف) أظلمت الدنيا في عينيه. وشعر أن طيور أحلامه التي طيرها قبل دخوله البحر، أخذت تسقط واحداً بعد الآخر على أرض الخيبة، من شدة حرارة أشعة (التسقام) و (الخرجية) التي فوق رأسه. فالنوخة يطلبه أكثر من خمسمائة روبية. وهذا مبلغ كبير لا يقدر (رضيف) مثل بويوسف على سداده.

ها هو (كيتب) النوخة يمد أوراق (البروة) في وجه هذا البحار المسكين الذي لا حول له ولا قوة.

والنوخة ينظر إليه نظرة ازدراء ووعيد. ينتظر منه كلمة (ما عندي) كي يأمر ببيع بيته!.

ينتظره كما تنتظر نسور الجو مخلوقا يحتضرا!!.

وبالفعل طأطأ البحار المسكين رأسه ثم أطلقها غصة كادت أن تخنقه:

ما عندي فلوس، طال عمرك.

هنا صرخ النوخة، بعدما أبعد عن فمه عصا (القدو) فتطاير الدخان من فمه، وكأنه قطار بخاري : شلون

يعني؟ فلوسي تروح أكال؟

اسمع، بيع بيتك وعطني فلوسي، ومساعدة مني لك، بشتري بيتك بثلاثماية روبية، والباقي بسامحك عنه.

وبالفعل باع بويوسف بيته وسدد دينه. ورأفة من النوخة جعله يسكن في البيت بالإيجار!.

عاش ذلك البحار الشقي مع زوجته وأولاده أغراباً، في بيت كان ملكا له بالأمس!!.

لم تنفعه الثلاثمائة روبية التي استلمها من النوخة، فقد ابتلعتها حاجيات البيت ومصاريفه.

بعد أيام وجدوا النوخة مذبوحة في مجلسه!! فاتجهت أصابع الاتهام إلى (بويوسف).

حاول أن يقنعهم أنه لم يفعلها لكن دون جدوى. ها هو في السجن ينتظر موعد تنفيذ حكم الإعدام.